الفصل الخامس

في عين المضارع

- عين المضارع وأحوالها

- حروف الحلق وتأثيراتها

أولا- عين المضارع وأحوالها :

عين المضارع في العربية تخالف عين الماضي حسب النموذجين التاليين :

1- فعَل ← يفعُل - يفعِل

2- فَعِل ← يفعَل

هاتان الحالتان تحدثان باطراد في العربية ، مع وجود كثير من الاستثناءات تخالف الحالتين المذكورتين ؛ وأحيانا ما كان على (فعِل) يأتي مضارعه على (يفعِل) أو يأتي مضارع (فعَل) على(يفعَل) ، وهكذا تشُذّ عن القاعدة بعض هذه الحالات التي وقف الشرّاح أمامها حائرين مختلفين .

يقول ابن درستويه في النموذج الأول " اعلموا أن كل ما كان ماضيه من الأفعال الثلاثية فَعَلت ، بفتح العين ، ولم يكن ثانيه ولا ثالثه من حروف اللين ولا حروف الحلق ، فإنه يجوز في مستقبله يفعُل بضم العين ويفعِل بكسرها ، كقولنا : ضرَب يضرب وشكر يشكُر . وليس أحدهما بأولى به من الآخر ، ولا فيه عند العرب إلا الاستحسان والاستخفاف . فما جاء وقد استعمل فيه الوجهان قولهم : ينفِر وينفُر ، ويشتِم ويشتُم . فهذا يدلكم على جواز الوجهين فيه وإنهما شيء واحد ." [1] .

ويفسر ابن درستويه هذا النموذج صوتيا : " لأن الضمة أخت الكسرة في الثقل ، كما أن الواو نظيرة الياء في الثقل والاعتلال ثم لأن هذا الحرف لا يتغيّر لفظه و لا خطّه بتغّير حركته " [2] .

وفي النموذج الثاني يشير ابن درستويه إلى " أن كل فعل كان ماضيه على فعِل بكسر العين لم يجز أن يكون مستقبله إلا يفعَل بفتح العين ؛ليخالف الماضي المستقبل في البناء ويعتدلا في الخفة والثقل.."[3] .

ولّما كان مضارع النموذج (فعَل) (يفعُل أو يفعِل) بدون تفضيل أحدهما على الآخر إلا ما استحسنته العرب ؛ فقد استنكر ابن درستويه على ثعلب اختياره واحدة من الصورتين : " فأما اختيار مؤلف كتاب الفصيح الكسر في (ينفِر ويشتِم) فلا علّة له ولا قياس " [4] .

---

[1]- تصحيح الفصيح و شرحه ، لابن درستويه , 33

[2]- تصحيح الفصيح و شرحه , 33

[3]- تصحيح الفصيح و شرحه ، 56

[4]- تصحيح الفصيح و شرحه ، 35 - 36

وفي موضع آخر التمس المبرر في اختياره : " وأما قولهم شتَم يشتِم فليس مما تخطئ فيه العامة . وإنما ذكره ، لأن المستقبل منه يجوز فيه كسر التاء وضمها قياسا . وكلام فصحاء العرب به أكثره بالكسر ، فاختار الكسر لكثرته لا لأنه أصوب " [1] .

ومن الأفعال التي اختلفوا حولها في هذا الشأن (حسِب) ومضارعه القياسي بفتح العين ، لكن ورود المضارع بلغة أخرى وهي الكسر خلق جدلا بينهم : " وحسِبت الشيء : ظننته ، وأحسِبه بالكسر وأحسَبه بالفتح والكسر لغة كنانة ، والفتح لغة وقياس ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ : (يحسِبون) بالكسر ، وهذا أحد ما جاء على فعِل يفْعِل بكسر العين من الماضي والمستقبل ، ومثله : نعِم ينعِم ، ويئِس ييئِس ، ويبِس ييبِس وهي أربعة أحرف ، ويجوز الفتح في كل واحد منهما . وقد جاء في نوادر اللحياني : نفِست المرأة تنْفِس وليس ذلك بمعروف " [2] .

وكان ابن درستويه قد فصّل القول في ماضي ومضارع (حسب) لتداخل اللغات فيه " فإن قولهم : حسِبته بكسر السين وأحسَبه بفتحها في المستقبل نظير قولهم : علِمته أعلَمه ؛ لأنه من بابه وهو ضده فخرج على مثاله . أما أحسِبه بالكسر في المستقبل فلغة مثل : ورِم يرِم و ولِي يلي ومثله قليل في الكلام . وقال بعضهم : يقال : حسَب يحسِب على مثال ضرَب يضرِب مخالفة للغة الأخرى . فمن كسر الماضي والمستقبل فإنما أخذ الماضي من تلك اللغة والمستقبل من هذه ، فانكسر الماضي والمستقبل لذلك ، ومصدره الحِسْبان بكسر الحاء " 3 .

وظن بعضهم أن الكسر لغة خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم : " وفي القرآن ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ﴾ (العنكبوت 29 / 2) بالكسر ومنه ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ (الجاثية 45/ 21) . وأما المستقبل فإن قول الله عز وجل : ﴿ لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ﴾ (آل عمران 3/ 188) يقرأ بالفتح والكسر ، والفتح أقيس والكسر مستعمل كثير . وزعم قوم أن الكسر لغة النبي صلى الله عليه وسلم ، وإنما خاطب بها النبي

[1]- تصحيح الفصيح و شرحه , 45
[2]- شرح الفصيح ، للزمخشري , 263
[3]- تصحيح الفصيح و شرحه , 192

صلى الله عليه وسلم رجلا كانت لغته الكسر فكلمه بلغته فقال : لا تحسِبن أنّا ذبحناها من أجلك ، فظنّ من سمع ذلك من النبي أنها لغته " [1] .

ومن المواضع التي خطّأ اللخمي فيها ثعلبا قوله : " ومن الحرية : حَرّ المملوك يَحَرّ حرارا ، إذا صار حُرًّا . قال علي بن حمزة : الصواب : حَرَّ المملوك يحِرّ ، بكسر العين في المستقبل وفتحها في الماضي وهو القياس " [2] .

ومنها عند الزمخشري " ثلثت الرجلين فأنا أثلثهما ... أي صيّرتهما معي ثلاثة ، وهذا هو المشهور من قولهم : الثالث والرابع . واختار صاحب الكتاب في إكمال العِدّة بالكسر في المستقبل : أثلِث وأخمِس ، وبالضم في أحد الأجزاء : أثلُث أي : أخَذَ الثُلْث ، وأعْشُر كذلك . وجَوّز غيره الكسر والضم فيهما جميعا "[3]

وكان ابن درستويه قد أنكر على ثعلب اختيار صورة واحدة من صورتي المضارع في مثل (شتم يشتِم ويشتُم) ، ولكننا نجد العكس من ذلك عند الزمخشري الذي ينكر على الخليل تركه الأمر للخيار بين الصورتين ؛ حيث " قال الخليل رحمه الله : إذا جاء فعل على مثال فَعَل ، ولم تسْمع بمستقبله ، فإن شئت قلت فيه يفعُل ويفعِل ، وليس كذلك ، والصواب ما قاله الفراء ، وهو أن تجعل مستقبل فَعَل إذا لم يُسمع به يَفْعِل بكسر العين لأنه في الأصل مستقبل فَعَل ، ويفعُل مستقبل فَعُل . وما عدا ذلك لا يعرف إلا سماعا " [4] .

وكان ابن جني قد فرط؟ظّق بين صورتي المضارع ، فاختار للازم (يفعُل) يقول : " وأنا أرى أن يفعُل فيما ماضيه فَعَل في غير المتعدي أقيس من يفعِل ... وذلك أن يفعُل إنما هي في الأصل لما لا يتعدى نحو كرُم يكرُم فضرب يضرِب أقيس من قتل يقتُل " [5] .

---

[1]- تصحيح الفصيح و شرحه , 192
[2]- شرح الفصيح ، ابن هشام اللخمي , 109
[3]- شرح الفصيح ، للزمخشري , 335
[4]- شرح الفصيح ، للزمخشري , 38 - 39
[5]- الخصائص لابن جني , 1 / 379

في حين أن غيره لا يرى تفاضلا كما رأينا عند بعض الشراح ، ونراه عند الفراء أيضا " مما يجتمع فيه على الشيء وإن كان غيره يجوز ، كما قالوا : يخرِز ويخرُز ويعكُف ويعكِف ، ثم يأتي مثله فيقال بوجه واحد لا يجاوز به غيره " [1] . والغريب في الأمر أن لسان العرب قد صرّف (نفر) مرات كلها بالكسر (نفَر ينفِر) [2] .

وعَدّوا كسر مضارع (حسِب) من النوادر مع ثلاثة أفعال أخرى فقد جاء " في التهذيب : حَسِبْت الشيء أحسَبُه حِسابا وحَسَبْت الشيء أحسُبُه حَسْبانا وحُسْبانا . وفي الصحاح : ويقال أحسِبه بالكسر ـ وهو شاذ ؛ لأن كل فعل كان ماضيه مكسورا فإن مستقبله يأتي مفتوح العين ، نحو علِم يعلَم ، إلا أربعة أحرف جاءت نوادر : حَسِب يحسِب ويبِس يبِس ونعِم ينعِم ويئِس ييئِس فإنها جاءت من السالم بالكسر والفتح "[3]

ولقد عزا القدماء التناوب بين الفتح والكسر في هذه الصيغ إلى اللهجات فمن الناطقين من يكسر ـ ومنهم من يفتح ، وظهر ذلك في الفعل الشاذ عن القاعدة (حسِب يحسِب) حيث قرئت في القرآن بالفتح والكسر وعزوها إلى الاختلاف في اللهجات ، " يحسِبهم : قرأها ابن كثير ونافع وأبو عمرو والكسائي بكسر السين في القرآن كله ، وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة وأبو جعفر بفتح السين فيه كله " [4] .

وكانت اللهجات مقياسا لغويا قويا يحسم الخلاف في كثير من الأحيان ، ويحكم على وجهي الخلاف بين فريقين بأن كليهما صواب . ومنشأ الخلاف في كثير من الأحيان في هذا الشأن أن وجود وجه واحد في القاعدة لا ينفي وجود وجه آخر يغلطه بعضهم ؛ ربما لعدم سماعهم له !! .

وفي ذلك يقول د. إبراهيم أنيس : " يجب إذًا أن ننظر إلى أبواب الثلاثي كما رواها النحاة على أنها تنتمي لأكثر من لهجة واحدة ، وأن الذي رووه إن هو إلا فرع من لهجات عدّة لأن أساس الفهم في أي لهجة من اللهجات هو الخضوع لقاعدة مطّردة نادرة الشذوذ " [5] .

---

[1]- المذكر والمؤنث , للفراء 59

[2]- انظر : لسان العرب / نفر

[3]- لسان العرب / حسب

[4]- فقه اللغة مناهله ومسائله ، محمد أسعد النادري , 181 / وانظر : تاريخ اللغات السامية ، إسرائيل ولفنسون , 209

[5]- في اللهجات العربية ، إبراهيم أنيس , 146

أو ربما يختارون الأكثر استعمالا ويتركون الآخر دون إحصاء علمي دقيق أكثر من مجرد السماع وربما جاء الإحصاء العلمي بنتيجة مخالفة لما شاع وانتشر بينهم لفترة طويلة . وهذا ما سنراه في موضعه .

ولقد اتفق التفسير الصوتي المعاصر للتناوب بين العلل القصيرة في اللهجات العربية – ومن ثم في الساميات التي هي على مفهوم أوسع لهجات من السامية الأم – اتفق مع رؤية ابن درستويه الصوتية التي قدمناها من التقارب بين الضمة والكسرة لأنهما على حد تعبيره أختان ، يقول د.غالب فاضل المطلبي : " إن هذا التناوب يرجع ... إلى تلك القرابة بين الأصوات الثلاثة من الناحية الصوتية ... تقارب عدد الذبذبات بين هذه الأصوات الثلاثة تقاربا شديدا ، مما قد يجعل وقعها على أذن السامع واحدا في بعض الظروف ، هذا إلى جانب عدم استقرارها ، وقدرتها العالية على التغير ، فكان أن اختلفت اللغات السامية واللهجات العربية في تردد هذه الأصوات فيما بينها . فما كان بالضم في لغة قد يكون بالفتح والكسر في لغة أخرى " [1] .

هذا التقارب الصوتي بين الضم والكسر الذي يفسر التناوب بينهما هو ما نفهمه من إشارة ابن درستويه في إنكاره على ثعلب اختيار الكسر على الضم ، فإنما مرجعه اللهجات التي تستحسن هذا واللهجات التي تستحسن ذاك .

وكان للدكتور إبراهيم أنيس رأي في تحديد الناطقين بالضم والناطقين بالكسر، فبالإضافة إلى العلة الصوتية في تقارب الكسر والضم فهما صوتا لين ضيقان ؛ " لهذا تحل إحداهما محل الأخرى في كثير من الظواهر اللغوية ، غير أن الكسر دليل التحضر والرقة في معظم البيئات اللغوية ؛ فهي حركة المؤنث في اللغة العربية ، والتأنيث عادة محل الرقة أو ضعف الأنوثة ، ولا شك أن الحضري أميل إلى هذا بوجه عام " [2] . ولهذا مالت القبائل البدوية إلى الضم ، في حين مالت القبائل الحضرية إلى الكسر .

[1]- في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية ، غالب فاضل المطلبي , 161 / وانظر : ص157
[2]- في اللهجات العربية ، إبراهيم أنيس , 82

ولقد حازت قضية عين المضارع انتباه المعاصرين ورأى بعضهم أن " موضوع النطق بعين المضارع لم يصل إلى صورة واضحة في التآليف القديمة ولا عيب على القدامى في ذلك ، حسبهم أنهم وضعوا الأصول وأشاروا إلى بعض الضوابط العامة وعلى المحدثين أن يعرفوا كيف يستفيدون من هذه الأصول " [1] .

وأقلق بعضا منهم أن يتكلف الباحث العربي عناء البحث في المعاجم لمعرفة أكثر من أمر ؛ ذلك لأننا " في اللغة العربية نفتح المعجم مرتين : مرة لضبط عين الفعل ، وأخرى لفهم المعنى ، في حين أن الآخرين يفتحونه مرة واحدة ، فالغربيون – مثلا – يفتحون المعجم لفهم معنى الكلمات " [2] .

هذا التردد على المعاجم كما يصفه د .الطيب البكوش للتثبت من حركة العين ؛ " نظرا لانعدام شكل النصوص عادة ، ولا يخفى ما في ذلك من مجهود متجدد ووقت ضائع في جزيئات كثيرا ما لا تكون لها قيمة خاصة"[3].

ولما كانت مشكلة النطق بالمضارع تكاد تنحصر في البابين (فعَل يفعُل) ، (فعَل يفعِل) وبخاصة الأفعال الصحيحة السالمة ، فهي بحق مشكلة تحتاج إلى حلول صوتية أو صرفية أو معجمية ، فصيغة الماضي (فَعَل) هي الأصل في تعدد صيغ المضارع ، وهي ومن خلال الإحصاء الرياضي الحديث نجدها " أكثر الأفعال عددا ، لأنه الفعل الحقيقي الذي يدل غالبا على العمل والحركة و(الفعل) إطلاقا ، لذلك فهو أكثر تصرفا ؛ إذ تقابله ثلاث صيغ في المضارع ، والمشكل في هذه الصيغ هو أنها سماعية لا تخضع مبدئيا لقواعد مضبوطة . ونظرا لكثرة الأفعال فإن الذاكرة لا تستطيع أن تحفظ إلا ما كثر استعماله منها " [4] .

---

[1]- من قضايا اللغة ، مصطفى النحاس 143 - 144

[2]- من قضايا اللغة , 165

[3]- التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث ، الطيب البكوش 89 - 90

[4]- التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث ، 89

وقد رأينا ابن درستويه يلتمس المبرر لثعلب في اختياره الكسر (يفعِل) في إحدى الصيغ التي تحتمل الضم (يفعُل) بحجة كثرة الاستعمال ، ورأينا ابن جني وغيره يربطون الصيغة (يفعُل) باللازم ، و (يفعِل) بالمتعدي .

لكن هذه الآراء تسقط أمام نتائج الإحصاءات الصرفية المعاصرة التي أظهرت أن النموذج (فَعَل يفعُل) يفوق حسابيا النموذج (فعَل يفعِل) لازما كان أو متعديا . فبعد دراسة إحصائية له على بعض المعاجم وعلى القرآن الكريم حول صيغة (فعَل يفعُل يفعِل) يقول د.الطيب البكوش : " وقد يبدو من الغريب أن بعض كبار النحاة كالفراء وابن جني كانوا يفضلون الكسر ـ بدون مبرر ظاهر ، ولعل ذلك يرجع إلى أنهم اعتبروا يفعُل خاصا بـ (فعُل) ففضلوا الكسر ـ للتمييز ... إلا أن هذا يتنافى والواقع اللغوي ؛ إذ نرى أن الضم يفوق الكسر (802 / 516) . والاستعمال القرآني يدعم ذلك أيضا (102 / 88) ، ولا شك أن المتعدي من هذه الأرقام يفوق اللازم ، وهو ما يجعلنا نشك في قيمة رأي ابن جني في هذه المسألة " [1] .

ويرجع الطيب البكوش هذه النتائج من تفوق الضم على الكسر ـ إلى تفسير صوتي وهو أن " للضمة مخرجين ، فهي خلفية ولكنها أيضا (أمامية) من جهة استدارة الشفتين عند النطق بها ، فتكون بذلك من مناسبة لجُلّ الحروف ، بينما الكسرة الأمامية قد لا تلائم إلا الحروف المجاورة لها " [2] .

وليست مشكلة التداخل بين الصوائت القصيرة في الأفعال بدعا في اللغة العربية ، فنحن نجد لها مثيلا في بعض أخواتها الساميات ، ولكن ليس بهذا الاطراد الأكثر انتظاما ، ومن ذلك ما يوجد في السريانية حيث يشير بولس الكفرنيس إلى أنه يوجد بعض أفعال مكسورة العين في الماضي عند الغربيين أما عند الشرقيين فبعضها مفتوحة العين وبعضها مكسورتها [3] .

---

[1]- التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث ، 92

[2]- التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث ، 93

[3]- انظر : غرامطيق اللغة الآرامية السريانية , 136

فبرغم انتقادات بعض الصرفيين السابقة لطبيعة اللغة التي تجهد الناطقين والباحثين في المعاجم عن الضبط مرة وعن الدلالة مرة أخرى ، إلا أن هذا يميز اللغة ولا يعيبها ؛ فقد قلنا إن هذا الأمر يرتبط باللهجات ، واللهجات عند الدارسين كلها صواب ، مما يدل على نوع من المرونة والتوسع تميزت بهما العربية الفصحى والتزمت بها حتى اليوم ، في الوقت الذي تحررت فيه أخواتها الساميات من هذه الضوابط شيئا فشيئا مسايرة اللهجات العامية من الميل إلى الانفلات من الضوابط الصرفية التقليدية .

فنحن نتوافق مع ما ذهب إليه د .عبد الرحمن السليمان في قوله : " أما الاختلاف في حركة الوزن الواحد مثل (حسب) الذي جاءت عين مضارعه بالفتح والكسر ، فهو اختلاف لغات لاغير ... وهذه ظاهرة جزيرية ضاربة في القدم لم تحتفظ بها كاملة إلا العربية . وهي منطقية جدا لأن لكل وزن صيغة دلالية واضحة ، وهذا من عبقرية اللغات الجزيرية عموما والعربية خصوصا ، واجتماع هذه الظاهرة كلها في العربية (كالإعراب ...) من العناصر التي تدل على أمومة العربية الفصحى لتلك اللغات " [1] .

وبالرغم من ذلك حفظت الساميات الشمالية (العبرية والآرامية والسريانية) ست صيغ قياسية للماضي الثلاثي السالم المجرد ومضارعه هي : (فَعَل يفعُل – فعَل يفعِل – فعَل يفعَل – فعِل يفعَل – فعِل يفعُل – فعُل يفعُل) [2] .

ونخص من هذه الصيغ ما كان على النماذج موضوع الدراسة مما كان مفتوح العين في الماضي (فعَل) فإن لمضارعه في الساميات الشمالية ثلاث صور كما في العربية (يفعُل – يفعِل – يفعَل) ، ولكن الفارق بينها وبين العربية أن العربية تحتفظ بالصورتين المضمومة والمكسورة للصيغة الواحدة .

[1]- ملاحظات ومقارنات لغوية ، عبد الرحمن السليمان , ص2 ، موقع الكتروني.
[2]- انظر : آرامية العهد القديم قواعد ونصوص ، يوسف متى فوزي وآخر , 151 – 152 / 187 - 188

وتدلنا تلك الصور على أن الماضي (فعَل) مفتوح العين يختلط مضارعه في ثلاثة أبنية مختلفة لا تحددها سمة مميزة ، وما كان مضموم العين هنا ربما كان مكسور العين هناك أو مضمومها ، لا يحدّه مقياس معين . ومن أمثلته ما يلي :

*** فَعَل يفعُل :**

- (في العهد القديم) عزرا 5 : 10 **כָּתַב** ← **יִכְתֹּב** (كتب)[1] . (kātav - yeḫtov)

- وفي السريانية[2] : قطَل يِقطُول (qatal - yeqtol)ت

وفيها أيضا[3] : كتَب ← يكتوُب (katab - yektob)

*** فَعَل يفعِل :**

- في العبرية : **נָתַן** ← **יִתֵּן** : أعطى ، مع ملاحظة إدغام النون في عين المضارع[4] . (nātan - yetten)

في العهد القديم : **נָפַל** ← **יִפֹּל** (**יִנְפֹּל**) عزرا 7 : 20 : سقط ، وهو فعل نوني تحذف نونه في المضارع وتشدد العين[5] . (nāfal- yeffél ″ yenfél″)

- وفي السريانية[6] : عبَد ← يِعبِد (عمل) . (abad -ye·bed)

*** فَعَل يفعَل :**

وهي الصيغة الثالثة (فعَل يفعَل) فهو في العربية يختص بوجود حرف الحلق في الصيغة ، وهو ما سنتناوله في المبحث التالي ، ولكنه غير مقصور على الصوت الحلقي في الساميات ؛ فهو صيغة قائمة بالفعل حتى بدون وجود حرف حلقي ، ومن أمثلته :-

---

[1]- آرامية العهد القديم قواعد ونصوص , 151

[2]- اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية , 187

[3]-W.Wright: Lectures, 180

[4] -W.Wright: 180

[5]- انظر : آرامية العهد القديم قواعد ونصوص ، يوسف متى فوزي وآخر 151

[6]- انظر : اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية ، إقليميس يوسف داود الموصلي , 187

- في العهد القديم [1] : לָבַשׁ ← יִלְבַּשׁ (لبس) دانيال 5 : 7 . (lābaš - yelbaš) .

- في السريانية [2] : فتَح ← يِفتَح فتح . (ftaḥ - yeftaḥ)

غير أن بروكلمان يشير إلى وجود الصورتين للصيغة الواحدة في الحبشية يقول : " ولا يزال وجود الصيغتين جنبا إلى جنب في مثل (sakaba) ← īeskeb

(كذب) īeskab ← (sakba)

وفيها : qarbā (في العربية قَرُب) حيث المضارع īeqreb بجوار īeqrab " [3] .

وفي إطار البحث عن حلول في اللغة العربية لإشكالية المضارع ، فمنهم من رأى الحل في معجم للأفعال المأنوسة المستخدمة أو في عمل إحصاء للأفعال ثنائية الباب . في حين يقدم د.مصطفى النحاس حلا آخر ففي رأيه أن " الحل الصحيح يكمن في إيجاد معجم سياقي للأفعال الثلاثية يرفع عنها الإبهام ويزيل الشك ويمنح اللغة ثباتا واطرادا " [4] .

وهو هنا يؤكد ضرورة الربط بين الصيغة ودلالتها " لأن الفعل منفردا يمثل الصيغة فقط أما السياق فيمثل الفعل صيغة ومعنى ، وهذا ما ينبغي التأكيد عليه عند ضبط عين المضارع ، لأن المعنى الدلالي ذو تأثير في بناء الفعل والمصدر أحيانا " [5] .

واختلاف الدلالة باختلاف حركة العين يوجد أيضا في الساميات ، ففي السريانية مثلا يشير القس بولس الكفرنيس إلى أن " من الأفعال ما يختلف معناها باختلاف حركة عينها في الماضي أو المضارع ... ومنها ما يختلف معناها باختلاف حركة عينها في المضارع فقط " [6] .

---

[1]- انظر : آرامية العهد القديم قواعد ونصوص , 151

[2]- انظر : اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية ، 187

[3]-C. Brockelmann: Kurzgefasste vegleichende Grammatik , 257

[4]- من قضايا اللغة ، مصطفى النحاس , 176

[5]- من قضايا اللغة 176

[6]- غرامطيق اللغة الآرامية السريانية , 135 - 136

وسنأخذ نموذجا من المشترك السامي في الخلاف حول (حسِب) ، وقياس مضارعه بالفتح ، إلا أن مجيء المضارع مكسور العين أدخلنا في هذا النقاش الطويل ، كان أهم نتائجه حول تلك الصيغة أنها لغة (لهجة) من اللغات وردت في الحديث الشريف مجاراة من النبي- صلى الله عليه وسلم - لنطق بعض الأعراب ، ووردت كذلك في القرآن الكريم بالكسر والفتح معا مع اختلاف القراء ولكن الأشهر هو الصيغة القياسية مفتوحة العين ، ورأينا أن دلالة الفعل عند القدماء هي الظن وما تفرع عنه .

بداية نجد من الباحثين المعاصرين في اللغات السامية من يفرق دلاليا بين بنيتين (حسِب) بالكسر ومضارعها (يحسَب) بالفتح ، و(حسَب) بالفتح ومضارعها (يحسِب) بالكسر وأحيانا (يحسُب) بالضم فالأولى بمعنى ظن واعتقد والثانية بمعنى عَدّ من الحساب ؛ حيث يرى (ثاتشر thatcher) فرقا في العربية بين صيغتين (حسب) " حَسِب ḥasiba (ظنّ) ومضارعه يحسِب : yaḥsibu ، وحَسَب : ḥasaba (عَدّ) ومضارعه يحسُب yaḥsubu " [1] . هذا في الوقت الذي جعلها بروكلمان تحت معنى (ظن أواعتقد) من اللهجات الحجازية واليمنية إحداهما تنطقها يحسِبُ والأخرى يحسَبُ [2] .

وبرغم التنوع الصوتي والدلالي في العربية لهذا الفعل إلا أننا وجدناه في الساميات بصورة واحدة (حسَب) مفتوح العين ودلالتين مختلفتين (عدّ ، ظن) .

يشير مراد فرج المحامي إلى صورتين في العبرية :" حسَبه يحسُبه كنصر : عَدّه ... الماضي العبري منه (حَشَب) بفتحتين ثانيهما ممدود . والمضارع (يَحشُب) فتح فسكون فضم ممال ممدود ، ومنه في المزمور 32 : 2 : (لا يحسُب الله له غيّا) ... وحسِبه يحسِبه بالكسر : ظنه : ﴿ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً ﴾]سورة الكهف 18/ 104[، منه في أيوب 33 - 10 : (يحشِبني) فتح فسكون

[1] - G.W.Thatcher: Arabic grammer, 73

[2]-C. Brockelmann: Kurzgefasste vegleichende Grammatik 256 انظر

فكسران مماثلان ثانيهما ممدود غير مماثل أي يحسِبني يظنني " [1] . ويشير أيضا إلى أنه " يقال حَسُب بالضم حسَابة وحَسَبا فهو حسيب هو عبريا : حَشُوب ، فتح فضم ممدود " [2] .

فاللفظة في العبرية بفتحتين ، وإلى ذلك أشار جزينيوس " חָשַׁב (حاشَب) فكّر وعَدّ " [3] .

وهكذا وردت في سفر التكوين 28 : 18 بمعنى اعتقد أو ظن :

חָשַׁבְתִּי אֶת הַצַּדִּיק לְרָשָׁע حسبت الصالح طالحا [4] . قراءته : حاشَبتي اِت هصّدّيق لراشاع .

ووردت كذلك في سفر يونس : חָשַׁב فكّر [5] .

وفي الحبشية ḥasaba ሐሰበ بمعنى ظن / اعتقد ، أما ḥazaba ሐዘበ فهي بمعنى (عَدّ) وكلتاهما مفتوحة العين [6] . وفي السريانية حشَب ḥaŝaḇ ، وفي الآرامية חָשַׁב ḥâŝaḇ مفتوحة العين بكلا المعنيين [7] .

وبرغم عدم القدرة على تحديد ضبط عينه في نقوشها إلا أنه قد ورد في النقوش النبطية أيضا " ح س ب : فعل ماضي على وزن فعل مصرف مع الغائب عرف بهذه الصيغة في النقوش البونية واللهجة الآرامية الفلسطينية اليهودية " [8] .

---

[1]- ملتقى اللغتين العبرية والعربية ، مراد فرج المحامي ، 1 / 144

[2]- ملتقى اللغتين ، 1 / 145

[3] -W.Gesenius: 362

[4]- انظر : قواعد اللغة العبرية ، عوني عبد الرءوف ، 227

[5]- انظر : دروس في اللغة العبرية ، ربحي كمال ، 559

[6]- انظر : معجم مفردات المشترك السامي , 142- 143 / في قواعد الساميات , 383 / نقوش الحجر النبطية ، سليمان بن عبد الرحمن الذييب , 176

[7]- انظر : اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية ، , 353 / الأصول الجلية في نحو اللغة الآرامية ، , 190 – 240 / معجم مفردات المشترك السامي ,143 - 144
W.Gesenius:, 362
L.Costaz: Syriac-English- French – Arabic dictionary , 118
Isho.B.Ali: The Syriac –Arabic glasses , 47

[8]- المعجم النبطي 105 / نقوش الحجر النبطية , 176

ويمتد هذا الفعل إلى المصرية القديمة أيضا ḥesb بنفس الدلالات [1] . ولا تتضح قراءته صوتيا على نحو مُرضي .

وبعد هذا الطرح نستطيع أن نقرر أن التنوع الصوتي عن طريق الصوائت القصيرة يعد ميْزة في اللغة العربية من عدّة نواح :

1- التنوع الدلالي في مثل (حسَب) ، في الوقت الذي لم يظهر فيها ذلك جليا في الساميات .

2- المرونة اللغوية لاستيعاب أكثر من صورة صوتية وأكثر من ناطق عربي أو ساميّ .

3- الثراء المعجمي الذي يؤكد أمومة العربية للغات السامية وأنها تستوعب غيرها من اللهجات (أو اللغات) السامية .

***

ثانيا - حروف الحلق وتأثيراتها

لحروف الحلق تأثير استثنائي في كسر قاعدة (فَعَل – يفعِـُل) في اللغة العربية ؛ لأن لتلك الحروف طبيعة صوتية خاصة تجعل صيغة المضارع من فَعَل مفتوحة العين ، يقول ابن درستويه : " فإن كان الثاني منه أو الثالث حرفا من حروف الحلق فإنه يجوز أيضا فيه الفتح ولا يمنع من الكسر والضم ؛ لأنها أصلان وإنما يفتح مع حروف الحلق ؛ لأن حروف الحلق مستعلية ، فكره فيها من الحركات ما ليس بمستعمل استثقالا للجمع بين الصعود والهبوط في حرف واحد ، فمن ذلك قولهم : سَبَح يسبَح ... " [2] .

ونظرا لغلبة الشواهد الدالة على صدق هذه الرؤية الخاصة بحروف الحلق فقد قبلها كثير من الصرفيين قاعدة خاصة ، في حين أطلق آخرون عليها وصف الشذوذ عن القاعدة الأصلية ، الأمر الذي خلق خلافا من نوع آخر وهو في تفسير ما شذّ عن (القاعدة الشاذة)، وبمعنى آخر في تفسير ما سار على القاعدة الأصلية (فعَل يفعِـُل) وحقه أن يسير مع القاعدة الشاذة لوجود حرف حلقي .

---

[1]- انظر : E.A.Wallis: An Egyptian Hieroo-lyphic dictionary , 510

[2]- تصحيح الفصيح و شرحه ، لابن درستويه , 33

يقول ابن الجبان في الإشارة إلى بعض الأمثلة التي سارت على القاعدة الأصلية دون الاستثناء : " ونَطَح الكبش إذا ضرب بقرنه ينطِح بكسر الطاء ، والقياس فتحها ... ونَبَح الكلب ينبِح : إذا صوّت والباء مكسورة في المضارع والقياس فتحها ... ونَحَت ينحِت نَحْتا إذا قَشَر وجه الخشبة قشْرا على وجه مخصوص بآلة مخصوصة والحاء مكسورة في المضارع والقياس فتحها ، وقرأ الناس : ﴿ **وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً** ﴾ [1] ، بكسر الحاء. وروى عن الحسن البصري فتحها في القراءة " 2 .

ويراه ابن درستويه كثيرا في الكلام " وما جاء وقد استعمل فيه الوجهان من حروف الحلق قولهم : نَطَح ينطَح وينطِح ونَبَح ينبَح وينبِح ، وفَرَغ يفرَغ ويفرُغ ، وبَرَأ يبرَأ ويبرُؤ ، وذلك كثير في الكلام " 3 .

وكان ابن درستويه قد أقر قياسية القاعدة وأصالتها في فَعَل يفعِل ، وشذوذها في حروف الحلق عندما قال " ويجوز أيضا فيه الفتح ولا يمنع من الكسر والضم لأنهما أصلان " 4 .

الغريب في الأمر وهو ما عجز الصرفيون عن إيجاد تفسير قاطع له هو ما جاء بالفتح في المضارع دون وجود حرف حلقي ويتمثل في صيغة : (أبى يأبَى) ، يقول ابن درستويه : " وقد شذّت من كلامهم كلمة عما وصفنا فتحوا منها المستقبل والماضي وليست عينها ولا لامها من حروف الحلق ، وهي قولهم : أبى يأبَى ، وأجمعوا على ذلك " 5 . وقد قدم ابن درستويه تفسيرا صرفيا لذلك في أكثر من موضع في كتابه وهو ما سنعرض له بعد قليل .

ويمكننا تلخيص قضية حروف الحلق وأثرها على المضارع في موضعين :

---

[1] - من قوله تعالى : (وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً فَارِهِينَ) (الشعراء26 / 149)
[2]- تصحيح الفصيح و شرحه 103
[3]- تصحيح الفصيح و شرحه 103
[4]- تصحيح الفصيح و شرحه ، 103
[5]- تصحيح الفصيح و شرحه ، 34

1) - جواز السير على الأصل والفتح أولى مع وجود الصوت الحلقي : في مثل نَطَح ينطِح ونَحَت ينحِت وفَرَغ يفرُغ وغيرها .

2) - الفتح مع عدم وجود الصوت الحلقي : في مثل أبى يأبَى .

ويمكن إضافة موضع ثالث مرتبط بالباب ولكنه غير خلافي عند القدماء : وهو ما اشتهر بالسير على الأصل دون الفتح مع وجود الصوت الحلقي في مثل دخل يدخُل ورجع يرجِع .

وهاك بعض التفصيل :

أولا : الحروف الحلقية في العربية عند الصرفيين القدماء ستة هي : (ء هـ ع ح غ خ) ، لها طبيعة خاصة لديهم وقسموها إلى ثلاثة مواضع حلقية عندهم (أقصى الحلق ووسطه وأدناه) ، وإن كان للمعاصرين رأي آخر في هذا التقسيم المخرجي طبقا للمعطيات الصوتية المعاصرة [1] .

وأرجع سيبويه الفتح في هذه الحروف مع المضارع إلى هذه الطبيعة المخرجية الغائرة في الجهاز النطقي " وإنما فتحوا هذه الحروف لأنها سفلت في الحلق فكرهوا أن يتناولوا حركة ما قبلها بحركة ما ارتفع من الحروف فجعلوا حركتها من الحرف الذي في حيّزها وهو الألف وإنما الحركات من الألف والواو والياء " [2] .

ولم يتناقض هذا التفسير الصوتي مع ما ذهب إليه المعاصرون فقد أيّد د.إبراهيم أنيس رؤية الأقدمين " وقد فطن الأقدمون من علماء اللغة إلى ميل الأصوات الحلقية إلى الفتحة وأقرهم على هذا المستشرقون وقد ظهر هذا الميل بصورة أوضح في اللغة العبرية . أما السر فيه فهو أن كل أصوات الحلق بعد صدورها من مخرجها الحلقي تحتاج إلى اتساع في مجراها بالفم ، فليس هناك مما يعوق هذا المجرى في

---

[1]- يقسم المعاصرون المنطقة التي تخرج منها هذه الأصوات إلى ثلاثة مخارج : الهمزة والهاء من الحنجرة ، والحنجرة جزء من جهاز النطق سابق للحلق ، والعين والحاء من الحلق ، وهو في موضع تال للحنجرة والغين والخاء من أقصى الحلق وهو يقع في منطقة تالية للحلق من جهة الأمام ، ومعنى هذا أن الأصوات الحلقية صوتان اثنان فقط هما العين والحاء ، ويذهب د.كمال بشر في تفسير ذلك اللبس إلى أنهم ربما أطلقوا الحلق على منطقة أوسع من تلك المنطقة التي نسميها نحن اليوم بالحلق والمحصورة بين الحنجرة وأقصى الحنك على ضرب من التوسع والمجاز / انظر في ذلك : علم اللغة العام القسم الثانى الأصوات ، د. كمال محمد بشر ، القاهرة ، دار المعارف بمصر 1980. م ص 157 - 159

[2]- انظر : من قضايا اللغة ، مصطفى النحاس , 150

زوايا الفم ، ولهذا يناسبها من أصوات اللين أكثرها اتساعا وتلك هي الفتحة ، ولم يشذ عن هذه القاعدة بين أفعال القرآن الكريم إلا أفعال قليلة " [1] .

ويرى برجشتراسر ود .رمضان عبد التواب أن " سبب هذا التحول أن اللسان في نطق الحروف الحلقية يجذب إلى الوراء مع بسط وتسطيح له وهذا عين وضعه في نطق الفتحة " [2] .

تلك الفتحة يراها وليام رايت W. Wright ضعيفة " في علاقتها بالصوامت الأخرى سواء في المقطع المغلق أو المفتوح ، فإن (a) الفتحة تعتبر الصوت الأضعف " [3] . وهي لذلك ترتبط ارتباطا وثيقا بالأصوات الحنجرية (ع غ ح خ) وكذلك حرف الراء " [4] .

هذه النزعة ، قد تكسر القاعدة في عكس اتجاهها فما يقال من تفضيل الحلقيات للفتح نجد عكسه تماما في بني تميم حيث نجد " صيغة فعيل تتحول في نطق بني تميم باطراد إلى فِعِيل ، وإن كان اللغويون يشترطون لذلك أن يكون الحرف الثاني من حروف الحلق مثل : لِئِيم – نِهِيق – بِعِير – نِحِيف – رِغِيف – بِخِيل " [5] .

ويؤكد الدكتور رمضان عبد التواب التطور التاريخي لهذه الصيغة الحلقية مفتوحة العين في المضارع، " وقد حدث التطور الصوتي هنا أول ما حدث في صيغة المضارع المجزوم بالسكون إذ فيه وحده تقع الحركة مع صوت الحلق في مقطع واحد ثم طرد القياس الباب على وتيرة واحدة في المضارع المرفوع والمنصوب والذي تحرك فيه حرف الحلق بسبب اتصاله بالنهايات مثل يفتحُ ويفتحَ ويفتحون ... إلخ " [6] .

---

[1]- في اللهجات العربية ، إبراهيم أنيس , 148

[2]- التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ، رمضان عبد التواب , 107 / التطور النحوي للغة العربية ، برجشتراسر, 63

[3] -W.Wright: A grammar of the Arabic language, 77

[4] - W.Wright : A grammar of the Arabic language , 76

[5]- التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ، رمضان عبد التواب , 44

[6]- التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ، رمضان عبد التواب , 107

ويرجعها برجشتراسر إلى الصيغة الأولى في السامية الأم حيث " إن (يفـتَح) أقـدم بكثـير مـن سائر المضارعات وهي ترتقي إلى أول طور تكوُّن اللغات السامية ، وكان القيـاس لـيس بقـوي بعـد في ذلك العهد ، ونشاهد آثار ذلك في أن الأفعال متنوعة تنوعا زائـدا في بنائهـا ، منهـا مـا ماضـيه بالفتحـة ومضارعه بالفتحة أو بالكسرة ، أو بهما إلى آخره ، فغلب في مثل (يفتح) التشابه الصوتي على القياس في اللغة السامية الأم وبقى كذلك في أكثر اللغات السامية والعربية معها " [1] .

وترجع كل هذه التأثيرات المصاحبة لحروف الحلق لصـعوبتها النطقيـة فهـي أدخـل الحـروف مخرجا في الجهاز النطقي ، يفرق د .أحمد مختار عمـر بـين المخـارج الأقفيـة (تمتـد المخـارج الأقفيـة مـن الشفتين إلى اللهاة) والمخارج الرأسية (من اللهاة حتى فتحة المزمار) وتضم معهـا الحـروف الحلقيـة " وتعد الأصوات الرأسية أصعب الأصوات في مجال الفحص وحين فحصت بأشعة إكس لم تكن النتـائج واضحة كما كان متوقعا ، وإنما أظهرت فقط الجدار الخلفي للحلق"[2].

ويذكر الدكتور شوقي النجار أن " الحلق مخرج عصي النطق إذ يشق عـلى المـرء اسـتخدام هـذا المخرج ولهذا نفرت أكثر اللغات من استخدامه ضمن مخارجها ، ولولا أن هذا المخرج من ضمن مخـارج الأصوات التي نألفها لاستخدامها في لغتنا لأدركنا كم تكون صعوبة النطق بأصوات حلقية " [3] .

ولما كانت مجموعة أصوات الحلق من المجموعات صعبة النطق " لذا فقد كانت عرضـة لعمـل قانون السهولة والتيسير ، وفعل قوانين التطور اللغوي المختلفة فطرأ عليها كثير من التغييرات وصـلت في بعض اللغات إلى المدى المطلق ، وظلت في بعضها الآخر مقصورة على بعض الأنماط ، أي أنها ظلـت في حدود التغيّر التاريخي المقيّد كما هي الحال في العربية " [4] .

---

[1]- التطور النحوي للغة العربية ، برجشتراسر, 63
[2]- دراسة الصوت اللغوي ، د. أحمد مختار عمر ، 273
[3]- الأصوات د.أحمد شوقى النجار, 44
[4]- التغير التاريخي للأصوات في اللغة العربية و اللغات السامية ، آمنة صالح الزعبي , 16

وبالنظر في اللغات السامية المقارنة سنجد أن لأصوات الحلق نفس التأثير في صيغة المضارع ، أضف إلى ذلك أن لتلك الأصوات تأثيرات أخرى تتمثل في سقوط حرف الحلق من الرسم أو النطق أو تحوله إلى صوت آخر عن طريق الإبدال .

والأصوات الحلقية في الساميات يتفاوت عددها عما في العربية[1] فهي : الهمزة والهاء والعين والحاء في الساميات الشمالية ، وتزيد الخاء في الجنوبيات والغين في العربية الجنوبية ، ويضاف إلى تلك الأصوات الحلقية صوت آخر غير حلقي هو صوت الراء في الساميات الشمالية في حالة تشديد الحرف .

وعليه فحروف الحلق عند السريان خمسة " لآ ؤ ح ع ر " [1] . (أ هـ ح ع ر) . وفي العبرية (א ה ח ע) [2] . الهمزة والهاء والحاء والعين ، وتضاف الراء في عدم قبولها التشديد فقط . وتنقسم إلى ضعيف (א –ע) وقوي (ה – ח) [3] . ، ويتضح أن حرف الراء ليس حلقي المخرج في الساميات ولكنه ينضم إلى مجموعة الحلقيات تبعا لتأثيره المماثل في الفعل المضارع . وفي الحبشية خمسة (أ هـ ع ح خ) [4] .

هذه الحروف تصنع نفس التأثير في عين الفعل المضارع حلقي العين أو اللام[1] ويحدث " في كل اللغات السامية أن الجذر الثاني أو الثالث إذا كان حلقيا مشكولا بالضمة (ŭ) أو الكسرة (î) يفتح في المضارع (ā) " [5] .

---

[1]- الأصول الجلية في نحو اللغة الآرامية , 18

[2]- انظر في ذلك : دروس في اللغة العبرية ، ربحي كمال , 70 / دروس في اللغة العبرية القديمة من خلال نصوص التوراة ، سلوى غريسة , 33 / قواعد اللغة العبرية ، عوني عبد الرءوف , 23 / اللغة العبرية قواعد ونصوص ، سيد فرج راشد 28

[3]- دروس في اللغة العبرية القديمة من خلال نصوص التوراة ، 33

[4]- في قواعد الساميات , 329

[5] -C. Brockelmann: Semitische sprachwissen schaft , 85

وانظر في ذلك : C. Brockelmann: Semitische sprachwissen schaft 67-68 ,

W.Wright: A grammar of the Arabic language , 180

C.Brockelmann:Precis de linguistique semitique, 98

ويسوق علماء الساميات العديد من الأمثلة المشتركة بين اللغات السامية في فتح عين المضارع :

ففي العبرية : **שָׁאַל** (شاءل) سأل ← **אָשְׁאַל** (إِشأَل) = أسأل

- **בָּחַר** (باحر) اختار← **אָבְחַר** [1] . (إِبْحَر) = أختار

- **שָׁלַח** (شالح) أرسل ← **אָשְׁלַח** (إشلَح) = أُرسِل

- **שָׁמַע** (شامع) اسمع ← **אָשְׁמַע** (إشمع) = أسمع

وفي السريانية : شمَع ← يِشمَع (شامع -يِشمَع) (سمع - يسمع)

- مشَح ← يمشَح (مشَح - يِمشَح) (مسح - يمسح)

حسَر ← يِحسَر (حَسَر - يِحسَر) (نقص - ينقص)

- بَلَع ← يِبلَع (بَلَع - يِبلَع) [2] .

ومع الراء : دكَر ← يِدكَر (دَكَر - يدكَر) [3] . (ذكر -يِذكَر) .

والفعل فتح يفتَح في الحبشية yefṭā ، وفي السريانية فـتُح نفـتُح neftaḥ ، وفي العبرية **פָּתַח יִפְתַּח** yiftaḥ ، وفي الآشورية îptē من (iptaḥ) [4] .

ومثلما خرج عن قاعدة الحروف الحلقية مثل (نَحَت - ينحِت) و (فَـرغ - يفـرُغ) إلى قاعدتـه الأساسية في اللغة العربية ، كذلك الحال في الساميات حيث يلاحظ أن الفتح " غالب فـيما كانـت لامـه حرف حلق أو راء ، لأن هناك أفعالا متعدية فيها هذا الشرط ولا تأتي على هذا الوزن مثل :

وانظر أيضا : في اللهجات العربية ، إبراهيم أنيس , 148 / في قواعد الساميات 208 / غرامطيق اللغة الآرامية السريانية 159 / فقه اللغات السامية ، كارل بروكلمان ، 71 / بحوث في الاستشراق واللغة ، إسماعيل أحمد عمايرة , 234 / الأصول الجلية ، يعقوب أوجين منا , 18

[1]- اللغة العبرية ، سيد فرج راشد , 183

[2]- انظر : C. Brockelmann: Syrische Grammatik, 67
في قواعد الساميات العبرية والسريانية والحبشية ، رمضان عبد التواب , 208

[3] -C. Brockelmann: Syrische Grammatik, , 68

[4]- انظر : C. Brockelmann : Precis de linguistique semitique, 98

فقه اللغات السامية ، كارل بروكلمان ، 71

- زرَع يِزرُوع (زَرع - يزرع) - زبَح يزبُوح ذبح - يذبح "[1] . (يقرأ مضارعه : يِـزرُوع - يِذبوح) .

ولابد أن نشير إلى أن تأثير الحروف الحلقية في الساميات أخوات العربية لا يقتصر على فتح عين المضارع فحسب ، بل يمتد إلى تأثيرات صوتية أخرى تدلل على صعوبة اطّراد قاعـدة ثابتـة لهـا ، تكـون مانعة حاسمة ، فالأمر قد يرجع في كثير من الأحيان لأحوال الناطقين ، لكن الثابت في الأمر أن لحروف الحلق خصوصية التأثير الصوتي على البنية الصرفية .

ومن هذه التأثيرات التي تخص حروف الحلق في البنية السامية بخلاف عين المضارع ما يلي :

(1) - في العبرية :-

صيغة الفعل الماضي إذا كانت فاء الفعل حرفـا مـن حـروف الحلـق (**אהחע** ء هـ ح ع) لا تقبل حروف الحلق السكون التام أو الناقص تحتها ويحل محلـه السـكون المركـب (الحـاطف بتـاح) في الفعـل المجـرد السـالم عنـد إسـناده لضـمير المخـاطبين أو المخاطبـات مثـل : **אֲמַרְתֶּם** (قلـتم)[2] . ('amartém) ، وفيهـا أيضـا إذا كانـت لام الفعـل (**ח** أو **ע**) مثـل **נָשַׂח** ŝāḥaḥ (نسِيـ) ، و **בָּלַע** pāla' (بلع) فإنه يجب شكلها بالفتحة المستعارة عند مجيء اسم الفاعل منها مثل : **בּוֹלֵעַ** و **שׂוֹחֵחַ**. (Pólé' - sóḥéḥ)[3].

والمعروف أن الماضي على وزن (**פָּעַל**ָה) (فاعْلاه) تشكل عينه بالسكون المتحرك عند إسـناده إلى الغائبة ، لكن إذا كانت عينه حرفا حلقيا فإنها تنتقل من السكون المتحرك إلى الحاطف بتاح مثل :

נְאֲמָה (نأَماه) خطبت - **פְּחֲדָה** (فاحَذاه) خافت - **סְעֲדָה** (ساعَذاه) أكلت[4] .

---

[1]- في قواعد الساميات , 208

[2]- انظر : دروس في اللغة العبرية ، ربحي كمال , 167 ، والحاطف بتاح حركة مركبة من سكون وفتح وتنطق كالفتح تماما .

[3] - من توجيهات أستاذنا الدكتور محمد صالح توفيق .

[4]- انظر : دروس في اللغة العبرية ، ربحي كمال , 168

كذلك لا يجوز في العبرية أن يأتي السكون وحده تحت حرف من حرف الحلق (**אהחע**) بل يجب أن يكون هذا السكون الواقع تحت حرف حلقي مصحوبا إما بحركة القماص (ְ) (الفتحة الطويلة)... وإما بحركة البتاح (ַ) (الفتحة القصيرة) ، وإما بحركة السيجول (ֶ) [1] . (الكسرة القصيرة الممالة) .

ومنه يعقوب (يَعَقُب) ... والأصل في العين السكون حركت لأنه حرف حلقي [2] . ولقد جاءت معه الحركة التي تخففه yaʿaqoḇ يعقوب [3] .

ومن تأثير الحلقيات على البنية في العبرية ما يشير إليه علماء الدراسات المقارنة التي تؤكد أن " العبرية خطت خطوات أبعد مع أصوات الحلق فهي لا تضعّف هذه الأصوات وتعوّض عن ذلك بإطالة الحركة السابقة مثل ēmḥmāhā أي من حكيم [4] .

ولا يقف الأمر عند هذا الحد بل تظهر في العبرية ما يسمى بـ (الفتحة المستعارة) وتقع مع الأحرف الحلقية الثلاثة (**החע** هـ ح ع) في آخر الكلمة مشكولة بـ (الفتحة ، **פַּתַח** البتاح) هكذا : הַ חַ עַ، فإذا كان مسبوقا بحركة من حركات الكسر أو الضم وجب نطقه بالفتحة المستعارة (يَّهْ – وَّه ، يَّحْ – وحْ ، يَعْ – وَعْ) ومن أمثلته : **לוּחַ** lowwah لوح ، **שָׁבוּעַ** savuwwaʿ أسبوع [5] .

(2)- وفي السريانية :

لا تقبل الحروف الحلقية قبلها رباصا (كسر مطبق مشبع بإمالة) ولا زلاما (كسر) في آخر الكلمة ، فكلما اقتضى أن يكون قبلها هذا الكسر يقلبونه إلى فتاح [6] .

---

[1]- انظر : دروس في اللغة العبرية ، ربحي كمال , 76

[2]- انظر : ملتقى اللغتين العبرية والعربية 1 / 217

[3]- العربية واللغات السامية , 12

[4]- محاضرات في العربية واللغات السامية , 23 / العربية واللغات السامية , 12 / وانظر : دروس في اللغة العبرية القديمة من خلال نصوص التوراة ، , 33 / دروس في اللغة العبرية ، ربحي كمال , 81

[5]- انظر في ذلك : عبرية مبسطة ، محمد توفيق الصواف 47 / دروس في اللغة العبرية ، ربحي كمال , 88 / العربية واللغات السامية , 12 / محاضرات في العربية واللغات السامية , 23 / مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن , 103 – 268

[6]- انظر : اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية , 59 / غرامطيق اللغة الآرامية السريانية , 46 / مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن , 268 - 269

وفيها أيضا نجد اسم الفاعل " من الثلاثي المجرد على وزن فاعِل ... إلا المختوم بحرف حلق أو ريش (ر) فتفتح عينه نحو : فُتَح فاتح من فتَح[1] . فتَح .

(3) - وفي الحبشية

هناك تأثير ظاهر للحروف الحلقية (ء – هـ – ع – ح – خ) على الأسماء والأفعال ليس شرطا بالفتح بل من الممكن أيضا بالكسر أو بالمماثلة ، ومن ذلك :

1- إذا تبع الفتحة القصيرة حرف حلقي أطيلت هذه الفتحة

2- تقلب الفتحة القصيرة إلى (e) إذا جاء بعدها حرف حلقي مشكل بغير الفتحة .

3- إذا جاءت الكسرة الممالة متبوعة بحرف حلقي مفتوح فتحة قصيرة قلبت الكسرة إلى فتحة بسبب قانون المماثلة [2] .

ومن أمثلة ذلك الفعل sama‘ku (سَمِعْتُ) تصير samā‘ku [3] .

(4) – ويقع الإبدال في العربية الجنوبية في أحرف الحلق ، ويرصد موسكاتي " تحول العين إلى الهمزة في لهجة حضر موت ... وإن كانت العربية الكلاسيكية تعرض ثباتا واضحا لأصوات الحلق والحنجرة ، وإن وقف على آثار قليلة من تطور العين إلى الهمزة والحاء إلى الهاء في لهجات قديمة " [4] .

وفي النقوش العربية الجنوبية " وردت طائفة من الأمثلة لا ينتظمها ناظم ما ، حذفت فيها (الهمزة أو العين أو الهاء) في مواضع ترد فيها هذه الحروف عادة ، ولما كانت هذه الظاهرة مقصورة على الأحرف المذكورة فلا يمكن أن نرجعها إلى خطأ كاتبي النقوش (كما افترض بعضهم) بل هي ظاهرة صوتية خالصة يراد بها تخفيف نطق أصوات أقصى الحلق الثلاثية إلى أدنى حد ممكن . فمن ذلك مثلا : yz... بدلا من ’yz . ومنه الفعل المضارع t ṣ r في حين أن ماضيه ṣ’tr تقدم في النقش نفسه

---

[1]- اللمعة الشهية 218

[2]- انظر : في قواعد الساميات , 329 – 332

[3]- انظر : مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن ، 269

[4]- مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن , 79

... ونلاحظ أيضا أن المسلمين حذفوا الألف من الاسم ŝrḫ'l وارد في النقوش فأصبح عندهم شرحيل ŝarahil "[1].

(5) – وفي الساميات الأخرى قد يسقط الحرف الحلقي ، ففي المندعية قد يسقط الحرف الحلقي وتنتقل حركته من (a إلى ē) مثل تحت : that ← tēt رعد ra·mā ← rēmā

وفي الأشورية أيضا : ba·lu ← belu السيّد[2] .

وتتسم البونية بسمة مميزة من الفينيقية تلك هي الإضعاف المتدرج وقلب الحاء ḥ والعين والهاء همزة أو تركها بلا رسم في آخر الأمر[3] .

وتتبادل حروف الحلق مواضعها في الساميات الشمالية الغربية أو تحذف جميعا ، وفي لغات المجموعة الشرقية يكثر قلب العين همزة وقد يمتد في واقع الأمر إلى قلب الهمزة صفرا أي بلا رسم ، والهاء همزة وصفرا[4] .

وبعد العرض السابق لتأثير حروف الحلق على البنية تأثيرا صوتيا وصرفيا في اللغات السامية ينبغي أن نؤكد أن اختيار الكسر في مثل (ينحِت) هو أمر قياسي يسير طبقا للقاعدة الأصلية وأن الفتح هو الطارئ على هذه الصيغة ومثيلاتها لما لحروف الحلق من تأثير عظيم على بنية المضارع بل يتعدى هذا التأثير بنية المضارع إلى تأثيرات صوتية عديدة في الأسماء والأفعال في كل اللغات السامية .

***

ثانيا : قضية (أبى يأبَى)

وفي المقابل نجد قضية (**أبى يأبَى**) التي لا يحتوي مضارعها على صوت حلقي في عينه ولا لامه ، ومع ذلك فقد فتحت عين مضارعه ، واختلف القدماء في تأويله ، وأبرز الشراح ابن درستويه

---

[1]- قواعد النقوش العربية الجنوبية ، كتابات المسند ، ألفريد بيستون , 17 - 18

[2] -C. Brockelmann: Semitische sprachwissen schaft , 86

[3]- انظر : مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن , 77 - 78

[4]- انظر : مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن ، 78

الذي رأى العلة في (يأبَى) " أنهم حملوه على ما هو في معناه وفيه حرف حلقي وهو قولهم : (يمنَع) ، كما حمل (يذر) على (يدَع) " 1 .

هذا الحمل على المعنى في رأي ابن درستويه ليس يعني أنه صواب " والذي يذهب إليه في قولهم أنهم غلطوا فيه على التشبيه بما هو في معناه مما ينفتح لحرف الحلق وهو قولهم منع يمنع " 2 .

وحمل البنية الصرفية على نظيرتها الدلالية مبدأ قائم عند الصرفيين في تفسير خروج البنية عن مسارها وهو ما يفسّر به (يأبى ويذر) عند ابن درستويه " وقد أجرى (يذر) مجرى (يدَع) في فتح الثاني منه وليس فيه شيء من حروف الحلق ، ولكن لمّا كان في معنى يدع وماضيه غير مستعمل ، فتح إتباعا ليَدَع فقيل يذَر ، وإنما حقه أن يكسر مثل (وزن يزِن) ، وهذا بمنزلة قولهم : (يأبَى) حين فتحوه وليس ثانيه ولا ثالثه من حروف الحلق ، وكان حقه أن يقال : يأبِي بكسر الياء كما يقال يأتي لأن ماضيه على فَعَل أيضا . فزعم سيبويه أنهم فتحوه من أجل أن فاء الفعل من حروف الحلق ، كأنهم غلطوا في ذلك وهذا بعيد .

" وزعم أبو العباس المبرد أنما فتح (يأبَى) لأنه إذا فتح صار لام الفعل منه من حروف الحلق ، يعني الألف ، وإن كان لا يكون في الكلام إلا زيادة أو بدلا ، ولا يعتمد به اللسان على راد ، ولكنه هاو . وهذا القول خطأ ، وقياسه فاسد لأنه ليس من حروف العلة ، إلا وهو إذا انفتح ما قبله وتحوّل هو صار ألفا فلم خَصّ بالفتح من ذوات العلة هذه الكلمة وحدها ؟! . ومع ذلك فإنه تصير العلة بعد المعلول إذا كان إنما يفتح من أجل شيء يحدث فيه بعد انفتاحه ، وهذا فاسد " 3 .

وكان سيبويه قد قدم للصيغة (يأبَى) أكثر من علّة : " وقالوا أبى يأبَى فشبهوه بيقرأ ، وفي يأبَى وجه آخر أن يكون فيه مثل حَسِب يحسِب فُتِحا كما كُسِرا . وقالوا : جبى يجبى وقلى يقلى فشبهوا هذا بقرأ يقرأ ونحوه " 4 .

1- تصحيح الفصيح و شرحه ، لابن درستويه , 261
2- تصحيح الفصيح و شرحه , 35
3- تصحيح الفصيح و شرحه , 261
4- الكتاب ، لسيبويه , 4 / 105

وإلى هذا ذهب ابن جني في الخصائص وقدم تفسيرات أخرى لمثل هذه الصيغ تدل على حيرته ، وقدم لأمثال هذه الصيغ الفصيحة – ولا جدال في ذلك – (باب فيما يرد عن العربي مخالفا لما عليه الجمهور) مبينا فيه أنه قد يتفق العلماء على شيء ويأتي كلام العربي مخالفا رأي العلماء وعدّه من القليل النادر ولكنه عربي فصيح [1] .

وفي إجابة للتساؤل : كيف يجوز للعربي الفصيح أن يرتجل لنفسه ما يخالف الجمهور ؟ " قيل : قد يمكن أن يكون ذلك وقع إليه من لغة قديمة قد طال عهدها وعفا رسمها وتأبدت معالمها " [2] .

ومع ذلك فسّر ابن جني (يأبى) مثل تفسير سابقه سيبويه ، يقول : " وأما غسا يغْسى وجَبَى يجبَى ، فإنه كأبى يأبى ، وذلك أنهم شبهوا الألف في آخره بالهمزة في قرأ يقرأ وهدأ يهدأ ، وقد قالوا غسَى يغسَى فقد يجوز أن يكون غسا يَغْسَى من التركب (يقصد تداخل لغتين) وقالوا أيضا جبى يجْبِي ، وقد أنشد أبو زيد :

يا إبلي ماذا مُه فتأبِيَهْ

فجاء به على وجه القياس كأتى يأتي " [3] . وعدّ الفراء ويعقوب (أبى يأبَى) نادرا [4] .

ومن المعاصرين من حاول أن يقدم تخريجا صوتيا لرأي سيبويه " وبالرغم من أن سيبويه يخلط بين الهمزة والألف فإنه يمكن تفسير هذه الظاهرة بالعلاقة بين جرس الفتحة ومخرج حروف الحلق فنطق حروف الحلق يصحبه انفتاح في الفم يسهل عليه انقباض الحلق والحركة الوحيدة التي تتصف بالانفتاح هي الفتحة ومن هذه الصفة أخذت اسمها " [5] .

---

[1]- انظر : الخصائص لابن جني , 1 / 385
[2]- الخصائص , 1 / 386
[3]- الخصائص , 1 / 382
[4]- لسان العرب / أبى
[5]- من قضايا اللغة ، مصطفى النحاس ، 150

ورغم وجود أمثلة قائمة بجوار (أبـى يـأبى) إلا أن ابـن خالويـه رأى أن مـا جـاء غـير تلـك الصيغة ففيه خلاف بين النحويين " قال ابن خالويه في شرح المقصورة : ليس في كلام العرب فعَل يفعَل (بفتح الماضي والمستقبل) إلا إذا كان فيه أحد حروف الحلق عينـا أو لامـا نحـو سـحَر يسـحَر إلا أبـى يأبى . فإن قيل : أليس قد رويت لنا أنه جاء فَعَل يفعَل بالفتح في خمسة أحرف : عشى يعشَى وقـلى يقـلى وجبى يجبى وركَن يركَن ؟ فقل : ذلك خلاف ، وأبى يأبى لا خلاف بين النحـويين فيـه فلـذلك خـص بالذكر " [1] .

ومقياس ابن خالويه في قبول (أبى يأبَى) على حالها بعـدم وجـود خـلاف فيـه بـين النحـويين ينقضه الكلام المذكور عند سيبويه وابن درستويه وابن جني أويؤكد الخلاف فيه ما ورد فيـه مـن شـاهد عند ابن جني في ورود (أبى يأبِي) فصيحا عن العرب . ولا تتميز (أبى يأبى) بشيء عن قريناتهـا حتـى تستثنى من الخلاف ، الأمر الذي يؤكد أن من الناطقين بها من كان يكسر ، وإن اشتهر الفتح وغلب .

وما يسمى بتداخل اللغات عند ابن جني يعقد القضية أكثر ، ويـتم " بـأن نأخـذ مـاضي لغـة ومضارع أخرى ونركب بينهما ثالثة ، كرحُب المكان يرحُـب بضـمها ، ورحِـب يرحَـب بكسر ـ المـاضي وفتح المضارع على القياس في اللغتين ، ويتولد بينهما لغتان : رحُب المكـان يرحَـب بضـم المـاضي وفـتح الآتي ، ورحِب يرحُب بكسر الماضي وضم الآتي " [2] .

والشروط التي وضعها النحاة العرب لمجيء باب (فعَل يفعَل) مما عينه أو لامه حرف حلقـي هي كما يلي :

1- ألا يكون الفعل مضاعفا مثل : صحّ يصِحّ
2- ألا يكون مثالا حلقي العين مثل : وعد يعد
3- ألا يكون أجوف يائيا أو واويا مثل : باع يبيع وفاح يفوح

[1]- المزهر، للسيوطي , 1 / 92
[2]- من قضايا اللغة ، مصطفى النحاس ، 152

4- ألا يكون ناقصا واويا مثل : دعا يدعو ولها يلهو

5- ألا يشتهر بضم أو كسر مثل أخذ يأخُذ و نفخ ينفُخ ورجع يرجِع [1] .

وكل تلك الشروط لا تنطبق على (أبى يأبَى) بحال من الأحوال ، الأمر الـذي يُبقـي المشـكلة قائمة .

ومن المعاصرين من يدعو إلى دراسة مثل هذه الصيغ الشاذة عن قاعدتها دراسة فرديـة خاصـة يقول دكتور أنيس : " والحقيقة أن اللهجة الواحدة يجب أن تخضع لقاعدة مطردة في الكثرة الغالبـة مـن صيغها ولكن قد يتخللها القليل من الصيغ التي تسمى عادة بالشاذة وفي مثل هذه الحالة يجب أن تدرس هذه الصيغ على انفراد ، وأن يبحث عن مصدرها أو سر شذوذها . ويغلـب أن يعـزى هـذا الشـذوذ إلى انحدار الفعل من لهجة أخرى لها قواعد أخرى تخضع لها " [2] .

وهذا يذكرنا برؤية ابن جني من قبل في مثل تلك الصيغ النادرة التي ينطق بها العربي الفصيح " قد يمكن أن يكون ذلك وقع إليه من لغة قديمة قد طال عهدها وعفا رسمها وتأبدت معالمها " [3] .

ومنهم –أي المعاصرين – من يدعو إلى شيء من التخفـف مـن هيمنـة القواعـد المطّـردة عنـد القدماء فهذا د.تمام حسان يرى أن " القاعدة لدى المعياريـة غايـة في نفسـها وقـانون ذو سـلطة توجـب وتجيز وتمنع ، والناس أمام هذه السلطة رعايا يطيعون ، ومن هنا سمحت الصيغة المعيارية لمـنهج النحـو أن تتحجر دراسته على صورتها بعد اكتملت لها القواعد " [4] .

والملاحظ في (أبى يأبى) وقريناتها المذكورات عنـد ابـن جنـي وابـن خالويـه أن معظـم تلـك الصيغ معتلة بالفتحة الطويلة ناقصة : (عشى يعشى – قلى يقلى – جبى يجبى – غسا يغسى) وهذا أمر ربما يخلق رأيين خاصين حولها :

---

[1]- من قضايا اللغة ، 151

[2]- في اللهجات العربية ، إبراهيم أنيس , 148

[3]- الخصائص لابن جني , 1 / 386

[4]- اجتهادات لغوية ، تمام حسان ، 14

أولا : أن تلك الصيغ في أصلها ربما كانت مهموزة وخففت ، ومن هنا جاءت مفتوحة العين ورؤية سيبويه في تشابه الحركة الطويلة بالهمزة في تلك البنية يقترب من هذا التبرير ، ويبقى المصدر (إباء) مهموز العين يراودنا عن حقيقة أصل (أبى) مهموز اللام . خصوصا وأن مثيلتها (أتى) مصدرها مختلف فلا يحتج بها .

ثانيا : قد يدخل رأي آخر جدير بالنظر وهو احتمال أن يكون المضارع من هذه الأفعال قد بُني من الماضي في مرحلة مبكرة من مراحل إعلاله هذا إذا قبلنا أن مثل الفعل (أَبَى) قد تطور في إعلاله حسب الشكل التالي : **أَبِي ← أَبَيَ ← أَبَيْ ← أبى**

فيكون على ذلك أصل الصيغة (فَعِل) وفتحت العين في مرحلة أحدث ، فوقعت الياء بين فتحتين فقلبت ألفا في آخر مرحلة ، ويكون المضارع قد بني من الصيغة القدمى . ويرجح هذا القول ما قال به ابن جني من احتمالية وقوع الصيغة (يأبَى) من لغة قديمة طال عهدها .

***

والمقارنة باللغات السامية لا تحسم الأمر بل ترجح أحد الرأيين السابقين ترجيحا يصل لدرجة اليقين ، وتقدم لنا أكثر من مسلك يتأكد معه في النهاية أن الصيغة (يأبَى) مفتوحة العين هي صيغة سامية أصيلة تناسب ماضيها تحت كل الاحتمالات وفق واحد من التفسيرات التالية :

1- بالرغم مما قدمناه من أن اللغات السامية توافق العربية في فتح عين المضارع بتأثير الحروف الحلقية ، رأينا في العربية نماذج تخرج عن هذا الاطّراد من أخوات (نَحَت ينحِت ودخَل يدخُل) كذلك نجد مثل هذا الخروج في الساميات ، ففي سفر دانيال 6 : 8 نجد **בָּעָא ← יִבְעָא** yeb'ī (يِبعِي) طلب يطلب [1] . بكسر عين المضارع ، وهي صيغة من باب معتل اللام بالألف وقد جاءت على مثال بَغَى يَبغِي وعينها حرف حلقي ورغم ذلك جاء مكسورا مما يدل على تشابه ما في عدم اطّراد القاعدة في مثل (أبَى يأبَى) .

[1]- آرامية العهد القديم قواعد ونصوص ، 152

2- صيغة (فعَل يفعَل) هي صيغة سامية حقيقية لا تشترط وجود الصوت الحلقي في أصولها وهي واحدة من ستة أوزان للفعل في العبرية والسريانية هي كما يلي : (فَعَل يفعُل – فَعَل يفعِل – فَعَل يفعَل – فعِل يفعَل – فعِل يفعُل – فعُل يفعُل) [1] . ومن أمثلة ذلك في العبرية : לָבַשׁ ← יִלְבַּשׁ أدانيال 5 : 7 [2]. من وزن : فعَل يفعَل (lābaš –yelebaš) ، وبدون حرف حلقي .

وفي ذلك يقول صاحب اللمعة الشهية : " اعلم أن كل ما في لامه أحد حروف الحلق و الريش لا يمكن أن يكون بالكسر في الماضي ولا في المضارع فيكون إما بالفتح أو بالضم ، ولكن الوزن الثالث الذي هو بالفتح (يقصد فَعَل يفعَل) لا يشترط فيه أن يكون في عينه أو لامه أحد حروف الحلق كما في العربية فقد يكون أفعال من هذا الوزن لا حرف حلقي فيها " [3] . وهذه القاعدة ترجح أن تكون الصيغة العربية (أبى يأبى) قد جاءت عن هذا الطريق السامي .

3- يقترب من درجة الرجحان ما طرحه الباحث من قبل من أن الصيغة (أبى) يحتمل أنها كانت مهموزة وخففت خصوصا إذا علمنا أن تسهيل الهمز في الصيغ السامية المهموزة أمر يحدث كثيرا في اللهجات الأحدث أو المتطورة لتلك اللغات ، بل إن تسهيل الهمز قد يحدث في فاء الفعل المهموزة في صيغة المضارع ، وتسهل الهمز في خمسة أفعال عبرية هي : אָמַר (آمر) قال – אָכַל (آخل) أكل – אָבַד (آقد) ضاع – אָפָה (آفاه) خبز – אָבָה (آبه) شاء أو أبى ، يتصرف في المستقبل بأن يحذف فاؤها [4] .

فإذا علمنا أن الصيغة في الآرامية هي אָבָא 5 ، (آقأ) منتهية بالهمز المخفف أيترجح لدينا أنها كانت مهموزة وخففت في العربية ، وفي العبرية أيضا فهي فيها אָבָה 6 ؛ حيث إن معظم الصيغ الناقصة

---

[1]- انظر : اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية , 187 – 188 / آرامية العهد القديم قواعد ونصوص 151 - 152

[2]- انظر : آرامية العهد القديم قواعد ونصوص ، 151

[3]- اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية ، إقليميس يوسف داود الموصلي , 188

[4]- انظر : اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية , 210

[5]- انظر : المعجم التأصيلي للفعل الناقص في اللغات السامية ، 27

[6]- انظر : المعجم التأصيلي, 27

في العبرية والتي تنتهي بهاء السكت (ה) كانت في الأصل مهموزة في العربية [1] . ومن هنا يمكن القول بأن الصيغة (يأبَى) فتحت عينها مراعاة لصوت الهمز الحنجري وهو الأصل فيها .

4- الرأي الأخير الذي نراه يصل لدرجة اليقين لدينا وهو ما طرحته من قبل أيضا حول إمكانية أن يكون المضارع من هذه الأفعال قد بُني من الماضي في مرحلة مبكرة من مراحل إعلاله ، جاء في المعجم التأصيلي " (أبَى / أبِيَ / أبَى : يأبى / يأبِي / يِئْبَى) كره – رفض أبيَ : انتهى عن ... :

– في العربية الجنوبية ابي – تابي : رفض – امتنع عن (أ ب ي – ت أ ب ي)

– في الحبشية ፀበየ – ፀበየ رفض " [2]. (ʿabaya– ʾabaya)

فالماضي في العربية الجنوبية يائي ، وغالبا ما نجد الأفعال المعتلة في العربية الشمالية عربية القرآن الكريم نجدها في العربية الجنوبية في المرحلة السابقة تاريخيا ، أقصد مرحلة ما قبل الإعلال (التصحيح) ، وفي الحبشية : ʾabaya ، وهي تحتفظ بنفس المرحلة السابقة على الإعلال ، كما توضح الأشورية أن الباء مكسورة لا مفتوحة فهي فيها : abitu ، بمعنى وافق / رغب [3] .

ولما كانت دلالة الصيغة في العبرية والآرامية عكس ما هي عليه في العربية ، حيث إن معناها في اللغتين أراد ورغب وأطاع ، فقد حاول مراد فرج المحامي أن يربط الصيغة العربية (أبى يأبى) بباب (أيب) في العبرية ربما على سبيل القلب المكاني وفسّر على ذلك (أيّوب) " هو عبريا (إيُّوب) كسر فضم ممال مشدد ممدود ... وهو من باب (أيب) يقابله في العربية فعل أبى يأبى (أبى واستكبر) (وتأبى قلوبهم) وقيل له ذلك لأن الشيطان أباه عند ربه : كرهه وأبغضه فابتلاه الله ليخزي بصلاحه وتقواه عين الشيطان أثم هو قريب لفعل (آب) ... لرجوعه إلى الله " [4] .

---

[1]- المتتبع لمعجم جزينيوس يجد أن الصيغ العربية المنتهية بالهمز من أمثال (قرأ) نجدها في العبرية تنتهي بـ (ה) ونادرا ما تنتهي بـ (א) انظر :

W.Gesenius: 2

[2]- المعجم التأصيلي, 27

[3]- انظر : معجم مفردات المشترك السامي ، حازم علي كمال الدين , 34

[4]- ملتقى اللغتين العبرية والعربية ، مراد فرج المحامي, 128

والباحث لا يميل إلى ربط مراد فرج بين (أيوب) و (أبـى) ؛ فـالأولى مـن (آب - رجـع) ، ونذهب إلى القول بأن المضارع (يأبَى) قد بني من الماضي (أبِي) (فعِل) في مرحلـة مبكـرة مـن تـاريخ العربية قبل إعلاله بالصورة الحديثة في العربية الفصحى .